محمد أركون والتفكير في أزمة الوعي الإسلامي:
قراءة في كتاب تحرير الوعي الإسلامي:
نحو الخروج من السياجات المغلقة

د. يوسف دعي

دكتور في العلوم السياسية

حميد أوفقير

باحث في سلك الدكتوراه، تخصص العلوم السياسية

جامعة إبن زهر

المغرب

ملخص المقال:

يحاول النص التفاعل مع مشروع محمد أركون في مناقشته لأزمة الوعي الإسلامي، وذلك من خلال قراءة تفاعلية مع كتابه تحرير الوعي الإسلامي : نحو الخروج من السياجات المغلقة ، والذي انطلق مشروعه من عمق الأزمة الدينية والسياسية التي تعرفها المجتمعات الإسلامية، محاولا إيجاد مخرج لتخليصها من السياجات العقائدية التي كبحث بحسبه المشروع الحداثي الحضاري للإسلام، وقد استرشد المفكر الإسلامي بطروحات المدرسة ما بعد البنيوية الفرنسية، سيما كتابات ميشيل فوكو وجاك ديريدا التفكيكية، لوضع التراث الإسلامي في مجهر التفكير والنقد، يخلص أركون من خلال هذا العمل أن، مسألة التنوير في العالم الاسلامي لايزال مشوار بعيد المدى ويحتاج الى إعادة تفكيك التاريخ وسردياته المتحكمة في وعي المسلمين، وإخراجهم من هذا السياج الدوغمائي الذي يكبح أي فرصة لتشكل فضاء مدني منفتح يقبل التعددية والاختلاف.

Abstract:

This paper seeks to engage with Mohammed Arkoun's intellectual project in addressing the crisis of Islamic consciousness, through an interactive reading of his work *The Liberation of Islamic Consciousness: Towards Breaking Out of Closed Enclosures*. Arkoun's project emerges from the profound religious and political crises experienced by Muslim societies, wherein he attempts to chart a path beyond the dogmatic enclosures that, in his view, have obstructed Islam's potential for a civilizational modernity. Drawing upon the theoretical contributions of the French post-structuralist school—particularly Michel Foucault's genealogical inquiries and Jacques Derrida's deconstruction—Arkoun places the Islamic tradition under the lens of critical reflection. His central conclusion emphasizes that the question of enlightenment in the Islamic world remains a long-term endeavor, one that necessitates the deconstruction of history and its dominant narratives that continue to shape Muslim consciousness. For Arkoun, transcending this dogmatic enclosure is essential for creating an open civic space that embraces plurality and difference.

مقدمة :

محمد أركون مفكر جزائري بارز، ويعد من أبرز علماء الفكر الإسلامي في القرن العشرين. وُلد أركون عام 1928 في قرية تاوريرت ميمون بولاية تيزي وزو بالجزائر، حيث نشأ متعرضًا للثقافة والحضارة الأمازيغية والإسلامية، ما شكل خلفية معرفية واسعة أسهمت في تكوين وعيه النقدي منذ الصغر. تلقى تعليمه الأولي في الجزائر قبل الانتقال إلى فرنسا لإتمام دراسته العليا، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي. عمل أركون أستاذًا للفكر الإسلامي في جامعات فرنسية مرموقة، من بينها جامعة السوربون، واشتهر بتحليل الفكر الإسلامي من منظور نقدي متعدد التخصصات، معتمداً على مقاربات الأنثروبولوجيا، والتاريخ، والفلسفة الحديثة، وكذلك الدراسات المقارنة للأديان.

يسعى مشروع أركون الفكري إلى تجديد الفكر الديني الإسلامي، من خلال فتح حوار معمق مع تحديات الحداثة والعقلانية والتنوير، مع التركيز على العلاقة بين الدين والسياسة والعلمانية في المجتمعات الإسلامية. ويعتبر أركون أن الأزمة المعاصرة في العالم الإسلامي ليست مجرد أزمة سياسية أو اجتماعية، بل هي أزمة معرفية وثقافية متجذرة في تصور المسلمين للتراث والدين، ما أعاق إمكانية بناء مشروع حضاري حداثي. وقد حدد أركون في هذا السياق مفهوم "التاريخ اللا مفكر فيه"، أي التراث الذي لم يتم تحليله أو إعادة قراءته نقديًا، مؤكدًا ضرورة مساءلة الخطابات السائدة التي شكلت وعي المسلمين على مدى قرون.

إن أطروحة محمد أركون لا تقف عند حدود التشخيص السطحي للأزمات السياسية والاجتماعية التي تعصف بالعالم الإسلامي، بل تغوص عميقاً في الجذور المعرفية لهذه الأزمات .بالنسبة لأركون، يعاني 'العقل الإسلامي' من حالة انسداد تاريخي نتجت عن تراكمات قرون من التقديس المفرط للنصوص والتفاسير التي أُنتجت في سياقات تاريخية محددة، ثم تم سحبها لتصبح متعالية على الزمن .هذا التحول من 'الدين' كتجربة روحية منفتحة إلى 'أرثوذكسية' فقهية وعقائدية مغلقة، هو ما أنتج تلك السياجات الدوغمائية التي أسست لثقافة الانغلاق . وبالتالي، يرى أركون أن أي محاولة للنهوض السياسي أو التنموي في مجتمعاتنا ستبقى محكومة بالفشل، ما لم تسبقها ثورة إبستيمولوجية تفكك هذه السياجات وتعيد مساءلة 'اللامفكر فيه' والمستحيل التفكير فيه داخل تراثنا.

انطلقت أطروحة أركون من دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية برمتها من منظور تاريخي، مع التأكيد على ضرورة النظر إلى الماضي في مراحله التاريخية، ومساءلة السلطة المعرفية للخطابات التقليدية[1]. وقد تأثر فكره بالمفاهيم الفلسفية الحديثة، لا سيما فلسفة بول ريكور، ومفاهيم ما بعد الحداثة التي طورها ميشيل فوكو، إضافة إلى التفكيكية عند جاك دريدا. وإذا ركز دريدا على التفكيك باعتباره غاية نهائية، فقد أصر أركون على ضرورة أن يتبعه إعادة بناء الخطاب، ما يعكس اهتمامه بالجانب العملي للنقد، وليس مجرد التحليل النظري[2]. وقد انعكس تأثير هؤلاء المفكرين في الدراسات والأبحاث التي أنتجها، من خلال تجديده لمناهج البحث في التراث الإسلامي واعتماده على تعددية المقاربات، مثل علم النفس التاريخي، وعلم الاجتماع التاريخي، وعلم الأديان المقارن، مغايرًا بذلك الاستشراق التقليدي الذي اقتصر على المنهج الفيلولوجي[3]، والذي انتقده بصرامة.

---

[1] محمد أركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، ترجمة هاشم صالح (بيروت: دار الساقي، 1991) ص 34.

[2] Siti Rohmah Soekarba, The Critique of Arab Thought: Mohammed Arkoun's Deconstruction Method, Makara Human Behavior Studies in Asia, Vol: 10, No: 2, p.3.

[3] الفيلولوجيا أو فقه اللغة هي دراسة اللغة والنصوص في سياقها التاريخي والثقافي. يُركّز المنهج الفيلولوجي على تحليل النصوص القديمة للتعرف على معانيها الأصلية وفهم تطورها عبر الزمن. يشمل هذا المنهج دراسة اللغة، الأدب، التاريخ، والثقافة التي أنشئت فيها النصوص، مما يساعد على تفسير تأثيرات الأحداث الاجتماعية والسياسية والدينية على اللغة والنصوص. بالإضافة إلى تحليل السياق التاريخي والثقافي للنصوص، يعتمد المنهج الفيلولوجي على دراسة علم الصوتيات، النحو، والدلالات لفهم كيفية استخدام اللغة وتغيرها. يقوم الباحثون عادة بمقارنة النصوص المختلفة والكشف عن التأثيرات المتبادلة بين الثقافات والنصوص. للمزيد يرجى الاطلاع على، أحمد السعيدي، الفيلولوجيا.. من فقه اللغة إلى تحقيق التراث، **موقع مجلة الفيصل**، 8 سبتمبر 2018 شوهد 26 ديسمبر 2025 على الرابط التالي: https://www.alfaisalmag.com/?p=12322.

ولتحقيق هذا المشروع النقدي الضخم، أدرك أركون مبكراً قصور المناهج الكلاسيكية، سواء تلك التي يعتمدها العقل الفقهي التقليدي المنغلق على ذاته، أو تلك التي تبناها الاستشراق الغربي الفيلولوجي الذي تعامل مع الإسلام كنصوص جامدة و'جثث هامدة .'لذا، تسلح المفكر الجزائري بترسانة منهجية حديثة ومتعددة التخصصات؛ حيث استعار أدوات الحفر الجينالوجي والآركيولوجي من ميشيل فوكو لكشف ارتباط المعرفة الدينية بآليات السلطة، واستلهم تفكيكية جاك دريدا لخلخلة اليقينيات المطلقة .لكن أركون، وخلافاً لبعض المدارس ما بعد الحداثية، لم يقف عند حدود التفكيك العدمي، بل أصر على ضرورة إتباعه بـ 'إعادة البناء .'وقد تجسد ذلك في توظيفه للأنثروبولوجيا الدينية وعلم الأديان المقارن لتقديم قراءة أنسنية للإسلام، تعيد ربطه بالتجربة الإنسانية الكونية وتنزع عنه طابع الاستثناء العنيف.

اهتم أركون في مؤلفاته بالعقل الإسلامي، محاولاً تفكيك الظاهرة الدينية بشكل معمق، مع التركيز على العلاقة بين الدين والحداثة والسياسة. وقد تناول موضوعات مرتبطة بأزمة العقل الإسلامي، مثل الحداثة والتنوير والعنف والمقدس والحقوق الإنسانية، مؤكدًا على ضرورة ربط التاريخ الإسلامي بالقضايا المعاصرة. كما سعى إلى إقامة صلة بين تجربة الغرب في عصر التنوير وما تحقق فيه من تحولات معرفية، وبين واقع العالم الإسلامي الحالي، معتبرًا أن المشروع التنويري الحداثي لا يمكن أن يتحقق سياسيًا دون معالجة الإشكال الفكري الأساسي. من أبرز مؤلفاته في هذا الصدد: *تحرير الوعي الإسلامي: نحو الخروج من السياجات المغلقة* (2007)و*الهوامل والشوامل* (2010)، بالإضافة إلى أعماله النقدية مثل *L'Islam et la raison* و*Penser l'Islam aujourd'hui*.

تطرح الورقة السؤال المركزي التالي: كيف ناقش محمد أركون إمكانية إخراج الوعي الإسلامي أو العربي المعاصر من الأقفاص العقائدية القديمة التي أعاقت المشروع الحداثي في العالم الإسلامي، على غرار تجربة التنوير في أوروبا؟ وتتناول الورقة قراءة نقدية في كتابه *تحرير الوعي الإسلامي: نحو الخروج من السياجات المغلقة*، الذي ترجم إلى العربية المترجم السوري هاشم صالح، الطبعة الأولى 2011، عن الكتاب الأصلي *Mohamed Arkoun: ABC de L'Islam Pour sortir des Clôtures dogmatiques* (Grancher – 2007)، وهو عمل متوسط الحجم يتكون من 319 صفحة، ويشتمل على خمسة فصول بالإضافة إلى تقديم المترجم[4].

يعد هذا الكتاب متابعة لمؤلف سابق لأركون بعنوان *الهوامل والشوامل* حول الإسلام المعاصر الصادر عام 2010، الذي حاول فيه إعادة تفكيك الصورة النمطية الشائعة عن الإسلام في الغرب عبر النقد التاريخي والفلسفي. وقد قدم الكتاب في شكل حوار يبرز ضعف المعرفة العلمية حول الإسلام وعلاقته بالأنسنة والعلمانية، مستلهماً عنوانه من كتاب *الهوامل والشوامل* لمسكويه[5] ، لتسليط الضوء على فترة الازدهار التاريخي للإسلام التي لم يتم التفكير فيها نقديًا وفق التعبير الأركوني.

لا تهدف هذه الورقة إلى تلخيص الكتاب فحسب، بل تسعى للتفاعل النقدي مع النص الأركوني انطلاقًا من عمق الأزمة الدينية والسياسية التي تواجهها الدول ذات الغالبية المسلمة اليوم. فحتى وإن كتب أركون هذا المؤلف ردًا على أحداث 11 سبتمبر والحرب الأهلية في الجزائر، وما شهدته بعض مناطق العالم الإسلامي من طائفية وصراعات، فإن أزمته الفكرية والسياسية لا تزال قائمة، بل تفاقمت بعد ما يسمى بالربيع العربي، وأعادت إلى سطح النقاش مفاهيم مثل الإسلاموفوبيا، الإرهاب الديني، وإشكالية الحداثة والإسلام.

وقد تم اختيار ثلاثة محاور أساسية من بين الموضوعات التي يعالجها الكتاب، والتي ترتبط بإشكالية الوعي لدى المسلمين، لتكون إطارًا تحليليًا للورقة:

- النقد في دراسة التراث الإسلامي: تفكيك الظاهرة وإعادة بنائها.
- التفكير في اللامفكر فيه في التراث الإسلامي.
- الحداثة بين الغرب والإسلام.

[4] محمد أركون، **تحرير الوعي الإسلامي: نحو الخروج من السياجات المغلقة**، ترجمة هاشم صالح (بيروت: دار الساقي، ط 1، 1999)

[5] أبو حيان التوحيدي وأبو علي بن مسكويه، **الهوامل والشوامل**، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939)

1. النقد في دراسة التراث الاسلامي: تفكيك الظاهرة وإعادة بناءها.

البعد الاول هو بعد ابستمولوجي، أراد من خلاله اركون اعادة قراءة ليس فقط الإسلام كتراث، بل حتى المناهج الكلاسيكية التي اهتمت به في فترة من الفترات ، وما يسمى بالإسلاميات الكلاسيكية "الاستشراق" ، وهو الخطاب الغربي عن الإسلام ، الذي ينظر الى الظاهرة الإسلامية من الخارج ، اي الإسلام المكتوب و الرسمي ، اسلام الاغلبية الأرثوذكسية الذي هيمن بفعل ارتباطه تاريخيا بالسلطة التي فرضته منذ عهد الامويين الى اليوم ، متجاهلا، -أي الإستشراق – القراءة التاريخية العلمية التي تنظر الى الإسلام بتعدده .

شكلت خلاصات الاستشراق صورة نمطية سجنت الغرب في رؤية واحدة حول الإسلام واعتبرته تراثا فقيها جامدا لا يتماهى مع الحداثة والأنسنة، عكس المسيحية التي برزت كديانة قريبة من العلمانية كما يقول مارسيل غوشيه.

يدعو محمد أركون الى تحديد آليات التفكير في التراث الإسلامي، عبر استحداثه لما يسميه بالإسلاميات التطبيقية Islamologie Appliquer وهو مصطلح إستلهمه من عالم فرنسي يدعى روجيه باستيد ، كان قد آلف كتاب بعنوان الانثربولوجية التطبيقية، وفيه يحدد العلاقة بين العلم النظري و الممارسة العملية. وقد استحدث اركون هذا النموذج التحليلي لتصحيح واستدراك نواقص الإستشراق الكلاسيكي، عبر فهم الادوار الذي يعلبه الدين في المجتمعات الاسلامية من الداخل ، اي قراءة الامفكر فيه من التراث ، عبر دراسته انطلاقا من[6] :

- اولا: من منظور علم الأديان المقارن وتحريره من السياج الدوغمائي المغلق، فهو أراد من الإسلام ان يتفاعل مع التراثات الاخرى .
- ثانيا: دراسة الظاهرة الإسلامية ضمن منظور الأنثربولوجيا الدينية، بمعنى انه يريد ان يتوصل الى فهم الظاهرة الدينية كلها من خلال دراسة تراث واحد ولكن بعد مقارنته بالتراثات الاخرى فهو يعتبر المقدس ظاهرة أنثربولوجية انسانية كونية.

وتأسيسًا على ذلك، لا تكتفي 'الإسلاميات التطبيقية' برفض المنهج الفيلولوجي (اللغوي التاريخي) الذي هيمن على الاستشراق الكلاسيكي فحسب، بل تتجاوزه نحو ما يسميه أركون بـ 'التحليل الأنثروبولوجي للمخيال الديني'. فإذا كان الاستشراق قد تعامل مع النصوص الإسلامية كـ'وثائق ميتة' أو 'جثث هامدة' تخضع للتشريح اللغوي، فإن مشروع أركون يسعى للتعامل مع الإسلام كـ'واقعة اجتماعية حية'، تتفاعل فيها النصوص مع البنى النفسية والاجتماعية للمؤمنين .هنا يبرز مفهوم 'المثلث الأنثروبولوجي' (العنف، المقدس، الحقيقة) كأداة إجرائية لفهم كيف يتحول النص الديني من رسالة روحية إلى أداة أيديولوجية تُشرعن العنف وتدعي امتلاك الحقيقة المطلقة. وبهذا، ينقل أركون البحث من دائرة 'صحة العقائد' (اللاهوت) إلى دائرة 'وظيفية الاعتقاد' (الأنثروبولوجيا)، طارحًا السؤال الجذري: كيف يشتغل العقل الديني؟ وليس: ما هي العقيدة الصحيحة؟

2. التفكير في اللامفكر فيه في التراث الاسلامي

البعد الثاني يسعى الى إعادة التفكير مجددا في المقولات الكبرى التي تتحكم في وعي المسلمين وتغدي انفعالاتهم ونظرتهم الى الذات و الآخر، اركون يقول اننا يجب ان نقيم مسافة نقدية مع جميع القيم الموروثة، ينبغي ان نضعها في سياقاتها التاريخية، ونعود الى أصولها الاولى، استخدام المناهج العلمية الحديثة ستمكننا من القاء نظرة موضوعية حول ماهية الفكر الديني من قبل. فالدين كمتعالي يقع بين زاويتين: زاوية المسلمات والتي تعني بالوحدانية والتوحيد ، وبين زاوية أخرى ذات ارتباط بالمجال التنظيمي والمشروط بالسياق التاريخي والمجالي المنزول فيه ، والذي منح مساحة و مجالا واسعا للتفكير و الاجتهاد

إن اللحظة التأسيسية – أي مرحلة تشكل الفكر العربي الاسلامي–، لم تكن فيها المرجعية العقائدية منغلقة داخل قوالب جامدة، بل كانت بدايات تشكل فضاء إسلامي أكثر انفتاحا، وقد كانت أولى المطارحات الفكرية متجسدة في حوارات النبي محمد صلى الله عليه وسلم الحامل لفكرة ثورية جديدة، ضد الفكر القائم أي الدين العربي الوثني، و التي استمرت حتى بعد وفاته، لاسيما في الفترة الذهبية حسب أركون في القرن 3 و 4 هجرية مع مفكرين من أمثال ابن يعقوب الملقب ب ابن مسكويه وأبو حيان التوحيدي وعلماء المنطق أمثال

[6] محمد اركون **تحرير الوعي الإسلامي : نحو الخروج من السياجات المغلقة** ، ترجمه الى العربية المترجم السوري هاشم صالح، الطبعة الاولى لسنة2011 ص 32 .

متى بن يونس وأخرون، التي كان فيها الفكر الاسلامي يربط الصلة بالفكر الكوني خاصة الفلسفة اليونانية . ففصول كتاب الامتاع والمؤانسة و كتاب الهوامل و الشوامل تعبر عن فترة ازدهار أصبحت من تاريخ منسي في التراث الاسلامي، وأصبحت من اللامفكر فيه بعد ان دخل العالم الاسلامي مرحلة العصور الوسطى السكولاتية Scolastique ، بعد رسالة الشافعي وموت الفلسفة وانتهاء فترة الاجتهاد والتفكير، ودخول العقل الاسلامي مرحلة اجتهادات العلماء الاربع، و تشكل الأرثدوكسية الاسلامية مع كتب اصول الفقه في القرن الخامس هجرية.

ولتعميق هذا الطرح، يشدد أركون على ضرورة التمييز الإبستيمولوجي الصارم بين مستويين: الظاهرة القرآنية والظاهرة الإسلامية. فالأولى تمثل لحظة الانفجار الروحي واللغوي المفتوح والمتعدد المعاني (اللحظة الشفهية للوحي)، بينما تمثل الثانية لحظة تحويل هذا الخطاب المفتوح إلى 'مدونة مغلقة' (المصحف الرسمي) ثم إلى 'أرثوذكسية عقائدية' تحميها الدولة .إن عملية الانتقال هذه ولّدت ما يسميه أركون بـ'السياج الدوغمائي المغلق' الذي استبعد كل القراءات والتأويلات الممكنة الأخرى (مثل القراءات الاعتزالية أو الفلسفية أو الصوفية الجريئة) ورماها في دائرة 'اللامفكر فيه' والمستحيل التفكير فيه. وبالتالي، فإن مشروع 'تحرير الوعي' لا يعني هدم التراث، بل يعني القيام بـ'حفرية معرفية ' (Archeology)لاستعادة تلك الإمكانيات الفكرية التي قُمعت وهمشت بفعل تحالف الفقيه والسلطان، وإعادة دمجها في وعينا المعاصر كخيارات مشروعة للتفكير.

ظل المخيال الاجتماعي ما بعد القرن الخامس هجرية، مرهونا بتفاسير الفرق الاسلامية المنغلقة على بعضها البعض، والتي تحاول كل فرقة ان تثبن انها اكثر اسلامية من الاخرى، انتج هذا مقولات كبرى تحكمت في الوعي الاسلامي ولاتزال، مفهوم الامة، دين الحق، الفرقة الناجية، هذه المقولات الكبرى غذّت المخيال الإسلامي الجمعي وجعلت من سلطة التاريخ تتحكم في الحاضر وآفاق المستقبل.

يعتبر اركون هذه المقولات نتاج سيرورة اجتماعية وتاريخية، بل وحتى وهمية لارتباطها بتأويلات فقهية، احدثت القطيعة مع التاريخ الاسلامي المزدهر، فهذه المقولات سيّجت التاريخ وأعادت إنتاج الطائفية والصراع والاقتتال، وإن بأسماء وسياقات ومجالات مختلفة، فتنظيم الدولة الاسلامية تحركه مقولات لاهوتية حركت في ما سبق العديد من التنظيمات، وستظهر اخرى مادامت هذه السرديات الكبرى متأصلة في وعي المتدينين، وفي ضمور وغياب الحس التاريخي النقدي لديهم، والتي تجهض أي مشروع حداثي تنويري.

3. الحداثة والأنسنة بين الغرب و الاسلام

البعد الثالث من هذه الورقة محاولة تسليط الضوء على المسار التاريخي لتجربة الانوار في الغرب، والتجربة الذهبية للمسلمين في القرن 4 هـ . لطالما كان اوجه التقابل بين الإسلام و مسار تطور المجتمع الاوربي ، مرتبطا بالمقارنة الدينية بين النص القرآني و الإنجيل، ورغم قيمة وضرورة هذا المنطلق، إلا أن اركون يعتقد أن من الضروري إعادة قراءة التاريخ الاوربي وربطه بمسارنا المتعثر نحو الحداثة، منتقدا بعض المفكرين الغربين على غرار روني جيرار و مارسيل غوشيه الذين وضعوا أسوارا مغلقة بين الاسلام والطموح نحو الحداثة والعلمانية المنفتحة، مستدين لذلك لخلاصات الاستشراق الذي خص الاسلام بالفقه و بالشريعة الأرثدوكسية، عكس المسيحية التي كانت اقرب للعلمنة بحسبهم، استنادا الى المقولات الشهيرة للمسيح { مملكتي ليست من هدا العالم ، ما لله لله ما قيصر لقيصر... } إلا ان مسار التاريخ في العالم المسيحي كان تحت وطئ حكم الكهنوت المسيحي الذوغمائي الإنغلاقي، قبل عصر الأنوار، وهو صورة طبق الأصل لما يعرفه العالم الإسلامي من أزمات اليوم.

نجد اركون في تناوله لفكرة العلمنة في الاسلام ، يغير زاوية واسلوب المعالجة لكي يزحزح تلك الفكرة الجامدة والثابتة التي تقول أن الاسلام لا يفصل الروحي عن الزمني او الديني عن الدنيوي ، في حين المسيحية تأسست على ذلك كما سبق ذكره . فالمسلمون والمستشرقون على حد سواء لا يملون من تكرار هذه المقولة في حين أن الاسلام قد عرف تجارب علمانية فعلية ولكن لم ينظر لها ولم تتشكل على هيئة مبادئ وقوانين كما حصل في الغرب بدءا من القرن 19 و اوائل القرن 20 .

فحين كانت أوروبا تعيش في عصر سكولاتية تحت حكم الكهنوت. كانت فترة ازدهار العالم الاسلامي وانفتاحه على ثقافات وعلوم جديدة ، تشكل بها فضاء تواصلي حسب تعبير هابرماس، فكان وراء هذا الازدهار عاملين أساسين :

- فكر جديد معلمن متفاعل و متواصل يسعى لتغير الواقع .
- حركة اجتماعية تتبنى الفكر الجديد وتفرضه على الواقع.

تبنت البرجوازية الغنية نسبيا الازدهار الفكري في هذه المرحلة وكانت وراء تيار حقيقي، من خلال جلسات المطارحات الفكرية والمناظرات من داخل قصور الامراء، التي نقلتها بعض الكتابات كما هو الحال لكتاب الامتاع والمؤانسة لأبو الحيان التوحيدي. كما هو الشأن بالنسبة لعصر الانوار الاوروبي والدي يعود الفضل الى اسهامات البرجوازية الصاعدة ونسفها للنظام الاقطاعي القائم وتبنيها لقيم التنوير. غير أن مسار التنوير في الغرب وإن كانت بداياته متصلة بما كان في فترة الازدهار الاسلامي ، ألا أن دخول المجتمعات الإسلامية زمن الانحطاط، ارتبط بإضعاف هذه البرجوازية التجارية ومصادرة الأموال والاراضي من اجل ملأ خزينة الدولة، وقد افرزت اضطرابات اجتماعية وانتفاضات شعبية افقدت البرجوازية من مقدرتها على الدمج الاجتماعي والثقافي، هذا النكوص الاقتصادي، فتح المجال بدء ا من القرن 11 عشر ميلادي أمام أرثدوكسية متحجرة تهيمن على الروحي والاقتصادي والسياسي ، فانتصر الغزالي على ابن سينا والفارابي وهزمت الفلسفة شر هزيمة.

إن هذا التباين التاريخي يقودنا إلى استنتاج مهم في فكر أركون: وهو أن الحداثة العقلية لا يمكن أن تنمو في فراغ اجتماعي. ففي حين استطاعت أوروبا تطوير 'عقلانية مجتمعية' بفضل صعود طبقة برجوازية مستقلة عن الكنيسة والإقطاع، شهد العالم الإسلامي عملية 'تريف' للثقافة وتدمير للطبقة الحضرية المثقفة (التي حملت لواء الأنسنة في القرن الرابع الهجري) .هذا الفراغ الطبقي سمح بانتصار 'العقل النقلي' (الذي يمثله الغزالي) على 'العقل الفلسفي البرهاني' (الذي يمثله ابن رشد)، مما أدى إلى سيادة نوع من 'الجهل المقدس' الذي لا يزال يحكم الوعي الجمعي. وعليه، فإن أركون يخلص إلى أن أزمة الوعي ليست مجرد أزمة نصوص دينية، بل هي أزمة 'بنيات استقبال'؛ أي غياب الحاضنة الاجتماعية والسياسية القادرة على حماية الفكر النقدي من بطش المؤسسة التقليدية، مما يجعل التنوير في السياق الإسلامي الحالي مشروعاً مؤجلاً أو 'مهمة مستحيلة' ما لم يتم تفكيك بنية الاستبداد السياسي المندمجة عضوياً مع الانغلاق الديني.

تكتسب القراءة الأركونية للتراث اليوم راهنيةً استثنائيةً تتجاوز مجرد الاهتمام الأكاديمي بالتاريخ، لتصبح ضرورةً إبستيمولوجيةً (معرفية) ملحة لفهم وتفكيك حالة "الانسداد التاريخي" التي تعيشها المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة .فإذا كان أركون قد انطلق في مشروعه من أزمات التسعينيات وما قبلها، فإن الأحداث الجسام التي تلت وفاته—بدءاً من انتفاضات "الربيع العربي" وما تبعها من نكوص سياسي وصراعات طائفية، وصولاً إلى صعود تنظيمات العنف الراديكالي مثل "تنظيم الدولة"—قد أكدت بصحة ودقة تشخيصه لأزمة العقل الإسلامي .إذ يثبت الواقع الراهن أن الحراك السياسي في الشارع، مهما كان صاخباً، يظل عاجزاً عن إحداث تغيير حضاري حقيقي ما لم يسبقه ويرافقه "حراك معرفي" يفكك البنى العقلية العميقة التي تعيد إنتاج الاستبداد والإقصاء .وبهذا المعنى، يُقرأ مشروع أركون اليوم ليس كدعوة لتحديث الدين فحسب، بل كمحاولة لتجفيف المنابع الفكرية للعنف، عبر كشف الغطاء عن "اللامفكر فيه" الذي لا يزال يحرك اللاوعي الجمعي للجماهير، ويجعلها فريسة سهلة لشعارات الخلاص الديني والسياسي.

وفي سياق متصل، تبرز راهنية "الإسلاميات التطبيقية" كأداة نقدية ضرورية لمواجهة ظاهرة "الجهل المؤسس" والمقدس (L'ignorance sacrée)التي تفشت في المؤسسات التعليمية والدينية على حد سواء. فالمجتمعات الإسلامية اليوم تواجه تحدياً مزدوجاً: من جهة، هناك "أميّة دينية" متفشية تختزل الإسلام في طقوس شكلية ومظاهر هوياتية مغلقة، ومن جهة أخرى، هناك سطوة لخطاب ديني تقليدي يعجز عن الإجابة على أسئلة العصر الحارقة .هنا، يقدم أركون خارطة طريق للخروج من هذا المأزق عبر الدعوة إلى إدراج "الأنثروبولوجيا الدينية" و"التاريخ المقارن للأديان" ضمن المناهج التربوية والتعليمية .والهدف من ذلك ليس الطعن في الإيمان، بل تحويل العلاقة مع الدين من "علاقة إذعان" وتبعية عمياء للنصوص التراثية ووساطة الفقهاء، إلى "علاقة تبصر" وفهم نقدي يستوعب السياقات التاريخية، مما يساهم في بناء فرد مسلم متصالح مع حداثته، وقادر على قبول الاختلاف والتعددية كقيمة إنسانية وكونية، لا كتهديد لعقيدته.

أخيراً، تمتد راهنية الفكر الأركوني لتشمل معالجة ظاهرة "الإسلاموفوبيا" وتصاعد اليمين المتطرف في الغرب، والتي تغذيها وتتغذى على الصور النمطية التي رسخها الاستشراق الكلاسيكي والإعلام الحديث عن الإسلام كدين للعنف والجمود .إن أركون، بدعوته لـ "أنسنة "

(Humanisme)السياقات الإسلامية وإعادة الاعتبار للحظة التنويرية في القرن الرابع الهجري (مسكويه والتوحيدي) ، يقدم للغرب وللمسلمين معاً أرضية مشتركة للحوار تتجاوز صدام الحضارات .فهو يوضح أن التطرف ليس جوهراً ثابتاً في الإسلام، بل هو نتاج لظروف تاريخية وسياسية أدت إلى انغلاق العقل الإسلامي ومصادرة الاجتهاد الفلسفي والفكري لصالح النقل الجامد .وبالتالي، فإن استعادة هذه "الإنسنية المنسية" هي السبيل الوحيد لكسر الطوق الذي يفرضه الغرب على المسلمين، وفي الوقت نفسه، تحرير المسلمين من سجنهم الذاتي داخل قلاع الماضي، دافعاً بهم نحو المشاركة الفعالة في إنتاج قيم كونية جديدة تخدم الإنسانية جمعاء، بدلاً من الانكفاء في ردود أفعال دفاعية عقيمة.

يقر محمد أركون أن مسالة التنوير في العالم الاسلامي لايزال مشوار بعيد المنال، ويحتاج الى إعادة تفكيك التاريخ وسردياته المتحكمة في وعي المسلمين، واخراجهم من هذا السياج الدوغمائي الذي يكبح أي فرصة لتشكل فضاء مدني منفتح يقبل التعددية والاختلاف.

المراجع والمصادر:

أولاً: المراجع باللغة العربية

1. **الكتب:**

- أبو حيان التوحيدي، وأبو علي بن مسكويه .**الهوامل والشوامل** .تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939.
- محمد أركون .**تحرير الوعي الإسلامي: نحو الخروج من السياجات المغلقة** .ترجمة: هاشم صالح. بيروت: دار الساقي، الطبعة الأولى، 1999.
- محمد أركون .**من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي** .ترجمة: هاشم صالح. بيروت: دار الساقي، 1991.

2. **المقالات والمجلات الإلكترونية :**

- أحمد السعيدي. "الفيلولوجيا.. من فقه اللغة إلى تحقيق التراث ."**موقع مجلة الفيصل**، (8 سبتمبر 2018). شوهد في 26 ديسمبر 2025. متاح على الرابط .https://www.alfaisalmag.com/?p=12322 :

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

- Soekarba, Siti Rohmah. "The Critique of Arab Thought: Mohammed Arkoun's Deconstruction Method". *Makara Human Behavior Studies in Asia*, Vol: 10, No: 2.